

من أوراق الرئيس (31)

الجليد .. يذوب: بين موسكو والقاهرة!

مغص يصيب القذافي عندما

يريد التراجع عن أى قرار!

كما مضى الرئيس السادات فى الحديث عن "المسألة الليبية" وجد فى الشارع السياسى الممتد بين القاهرة وطرابلس عجباً من الأحداث والمواقف والأشخاص 00 والرئيس السادات لديه هذه القدرة الهائلة على استحضار الماضى بكل تفاصيله ودراسته ووزنه 00 ووضع كل شىء وكل قرار وكل شخص فى مكانه وحجمه الصحيح 00 وهو يرى أيضاً أن القدر قد اختاره ليكون أميناً على مصر، ومن أجل ذلك عليه أن يتحمل الكثير من الهوان الشخصى، وأحياناً الهوان القومى 00

وقد انتهر الرئيس السادات ذكرى الاحتفال بوفاة جمال عبد الناصر لكى يقطع الشكوك والتشويه لسمعة مصر فأطلق سراح الشباب الذين ثاروا والذى يحترم ثورتهم، وفى نفس الوقت يشفق عليهم من المضللين والإنتهازيين 00 ثم أعاد الصحفيين إلى أماكنهم من صحفهم 00 ولم يشأن أن يضع أحداً فى المعتقلات التى أغلقها إلى الأبد، ولا فصل أحداً ولا قطع رزقه ولا شرد أولاده 00 فليس ذلك من طبعه ولا من خلقه 00 حتى محمد حسنين هيكل رئيس تحرير جريدة الأهرام التى تفرغت فى ذلك الوقت للدعوة للقذافي ولهزيمة الجيش المصرى، لم يصب حتى الآن بسوء 00

وسوف يرى الرئيس السادات حادثة غريبة عجيبة فى الأسبوع القادم إن شاء

الله 00

كان الوقت يقترب من الموعد الذى تحدد لمعركة المصير 00 وكانت بالفعل

معركة المصير 00 فحرب أكتوبر وما بعد أكتوبر 00

ولست وحدى الذى يقول ذلك، وإنما هو اليهود 00 والمؤرخون العالميون 0

تغيرت الدنيا تماماً 0 وسوف تظل كذلك مئات السنين 00

ورغم المشاعر والحسابات الطويلة والمخاوف والاحتياط لكل صغيرة وكبيرة، فإننى أحيانا أخلو إلى نفسى وأفكر فى هذا الذى سوف يكون 00 وأرى أننا نعذب أنفسنا كثيراً بين شيئين: الأسف على ما كان بالأمس، والخوف من الذى يحدث غدا!

ولكنى أحمد الله سبحانه وتعالى أن وهبني الهدوء والصبر لكى أصبح قادراً على أن أفكر بوضوح، وأن أقرر بعد ذلك بحساب 00 وأنا لا أدعى أن كل شيء توقعته حدث تماماً 0 فقد حدثت أشياء كثيرة أكبر وأروع ما توقعت وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده 0

ثم إن هناك أحداثا كثيرة لا تذكر، وأحداثا أخرى كثيرة لا أستطيع إلا أن أذكرها 0 وإلا أن أعيد روايتها ووصفها وتحليلها 0 وذلك عبء كبير فلست كاتباً قد تفرغ للكتابة كل الوقت 0 إن الكتابة متعة لبعض الوقت 0 ففيها الحنين إلى الخلوة والتأمل ورؤية الإنسان لنفسه على الورق 0 إننى لا أنسى ما حدث كله 0 وإن كنت أتناسى لبعض الوقت 0 وفى ذلك تخفيف لهمومى الكثيرة 0 فليس من الممكن أن أحمل همومى على رأسى طول الوقت 0 بل من الواجب أن أضع بعضها إلى جانبي 00 تحت عيني 00 لكى أتخفف منها 0 كما يتخفف الإنسان من ملابسه 00 أو كما يتخفف الإنسان من وزنه الثقيل 00 فإذا خفت الهموم على رأسى استطعت أن أرفع رأسى عالياً، لتصبح نظرتى أوضح وأبعد 00

إننى أتذكر تلك النصائح التى يعطونها لكل من يطلب رخصة قيادة دولية لسيارته 00 إنهم يؤكدون له أن قيادة السيارة مسئولية، والذين ليسوا معه فى الطريق أو فى السيارات الأخرى، ثم هو مسئول عن حياته أيضاً 0 ولذلك يجب أن يركز كل قدراته العقلية على الطريق أمامه، وكل قدراته العضلية على عجلة القيادة والفرامل 00 وهى صورة صحيحة ولكنها مخيفة فى نفس الوقت 00 فإذا كانت هذه هى الإرشادات لمن يقود سيارة مسئولاً عن حياة بعض الناس 0 فما بالك بالذى وضعته الأقدار عند عجلة قيادة شعب عريق، هو قلب الأمة العربية 00

وفى النظر إلى الشارع السياسى أمامى وورائى أجد مئات الأحداث التى لا تذكر، ومئات أخرى يجب أن تذكر 0 فأنا أتوجه بحديثى إلى التاريخ الذى يقرؤه ملايين من شباب مصر والعالم العربى 00 وهم الذين سوف يحتلون أماكن مختلفة من السيارة 00 التى هى الأمة العربية كلها 00 وإن كنت لا أرفع عينى عن مصر أولاً 00 وأذكر الجملة التى قالها نابليون وانتقدها المؤرخون بعد ذلك 0 فهو الذى قال: إننى لا أفكر إلا فى فرنسا أولاً وقبل أى شىء آخر 00

وأنا أفكر فى مصر، فلا مصر بالشىء الهين ولا مشاكلها بالشىء القليل 00 ولا قدرها ولا قدرى 0 ولا الثقة الغالية التى أولتتى إياها 0 فكل ذلك عبء ثقيل، وشرف عظيم 00

وفى نفس الوقت أقول للشباب إن هناك متاعب كثيرة 00 ومشاكل لا حصر لها 00 وكلها موجعة 0 وكلها امتحان لرجولة الرجال 0 وبطولة الرجال أيضاً 0 ولكن لا شىء يوجع القلب ويكسر الرأس مثل أن يجىء أحد ويجرح كرامتك الشخصية وعزتكم القومية 00 وهذا هو الذى أذكره بوضوح وأنا أتحدث عن المسألة المصرية اللببية 00 أو المسألة اللببية المصرية 0 فكل ما فيها من عناصر الإثارة والتشهير والتشويه يجىء من الجانب اللببى 0 وإن كنت لا أبرىء مطلقاً عدداً من "الخونة" المصريين قد ساعدوا القذافى على أوهامه المجنونة المهووسة 00 وأنا لا أعتذر عن هذه الصفات كلها 0 وإنما يعز على كآب لهذه العائلة المصرية أن أصف شرذمة من أبنائى بأنهم "خونة" ويؤسفنى أن أوكد أنهم بالفعل كذلك: لأنهم عملاء للسوفييت وعملاء للقذافى 0 وإذا كان لابد أن أفضل خائناً على خائن، فربما كان الخائن السوفيتى أفضل قليلاً من الخائن اللببى 0 وهم جميعاً فى أحط مكان من الموازين المصرية الشريفة!

وأحمد الله دائماً أن جعل رأسى مثل ساعة دقيقة تدور بانتظام وهدوء، بينما العواصف والرياح تمزق الأشجار على الأرض والسحب فى السماء 00 ولكن لا بد أن يكون الإنسان قادراً على الهدوء وعلى الرؤية الواضحة ليعرف ما هذا الذى يجرى حوله 0 وما الذى ينبغى أن يفعله 00

ومن أحب الأشياء الصغيرة إلى نفسى أن أضع ساعتى أمامى على المنضدة
وأفترج عليها: إنها صورة للدقة الهادئة والصفاء العلمى0

وأنا أحب أن أتحرك بالحساب0 ولا أندفع وراء عواطفى0 ولو كنت قد حكمت
عواطفى فى كثير مما رأى لتغيرت الصورة تماما ولذلك فأنا أسحب الكثير من احتياطى
الصبر لأواجه به الأزمات00 وأرى أننى كسبت فى النهاية00

بينما أجد رجلاً مثل معمر القذافى قد عذب نفسه كثيراً0 لأنه يندفع وراء عواطفه
المتطرفة0 وأنه يرى الدنيا من خلال أوهامه0 وأوهامه أكثرها مستورد من مصر، من
مستشاريه فى مصر00 والقذافى أقرب الناس شبها بالقنذ الذى له جلد شائك يدافع به عن
نفسه00 ولكن قضية القذافى هذا أنه لبس جلد القنذ بالمقلوب00 فهو بدلا من أن يخيف
الآخرين، فإنه يعذب نفسه ويتوجع00 فهو الذى يحزن00 وهو الذى يثور00 وهو الذى
يهد بالإستقالات، وهو الذى ينسحب إلى الصحراء فى خيمة، وقفت أمامها عربة بها جهاز
لاسلكى يدير به ليبيا ويهدد العاملين معه00 ولن يتغير هذا الرجل، وهو فى ذلك لم يعذب
نفسه فقط، وإنما عذب معه الشعب الليبى الشقيق00 الذى شقى كثيرا بواحد من أبنائه00

إننى أعطى لنفسى هذه اللحظات لكى أتوقف قليلا0 وأتأمل نفسى وغيرى،
والشارع السياسى الذى مشيت فيه من أكثر من ثلاثين عاما00 وأنظر إلى ما
سوف يفعله القذافى وإن كنت قد جربت أساليبه فى المحاوره- والمناورة واتخاذ
القرارات والرجوع فيها00 حتى أصبحت عادة: عادة أن يفعل ذلك وعادة ألا أفاجأ
بذلك00

فلا هو أزعجنى، ولا أنا أفلحت فى إقناعه بالعدول عن شىء00

كتبت هذا كله00 ووضعت القلم وانتظرت الخطوة التالية للقذافى0 ولكن رأسى
ملىء00 وعينى مليئتان00 بما سوف يحدث فى الأيام القليلة جداً0 وقواتنا كالنحل تروح
وتجىء00 وقوادنا فى غاية الحيوية والإيمان، وكل شىء يمشى كالساعة فى هدوء وصفاء
ودقة00 وإيماننا بالله العظيم00

عندما جاء من يقول لى إن معمر القذافى يريد أن يحضر احتفالنا بذكرى وفاة جمال عبد الناصر الله يرحمه0

قلت: لا مانع، أهلا وسهلا، فليأت وليحضر0 وليشارك0 وكعادة القذافى فغنه يجيء فجأة0 فلا نعرف موعدا لوصوله0 وإنما نجده فوق مطار القاهرة0 وأحيانا نجده نزل من الطائرة وركب سيارة00 أية سيارة يجدها0 وفى إحدى المرات ركب ميكروباس0

وأتجه إلى أحد الفنادق0 لماذا؟

لا بد أن مستشاره00 محمد حسنين هيكل وآخرين من تجار الناصرية وعملاء السوفيت قد أخبروه بأن الشعب المصرى بسيط0 وأن البساطة هى التى تغزو قلبه0 وأنه كلما أحس الناس أن الزعيم السياسى قريب منهم فى الشارع وفى الأتوبيس أحبوه أكثر ورفعوه إلى أعلى مكان00 وليس على القذافى إلا أن يجرب وسوف يرى النتيجة0 والنتيجة هى أنهم سوف يضعون له على حدود مصر حصانا أبيض يركبه ويدخل القاهرة غازيا فاتحا؟!!

وأعجب من ذلك أن القذافى يشكو من أنه لا يلقى الاحترام الواجب له0 مع أنه من الصعب أن يذهب أحد لاستقباله فى المطار0 إلا إذا استخدمنا "بساط الريح" فلا نكاد نسمع أنه يحوم فوق القاهرة حتى نسرع إلى بساط الريح ونركبه ونلتقى به فوق مطار القاهرة00 أو تحت على أرض المطار0

وأذكر أن عبد السلام جلود قد نقل لى شكوى القذافى من أنه لا يلقى عظيم الاحترام0 وأدهشنى ذلك، لأننى أحترم الناس0 وهناك أدلة كثيرة على حفاوتنا بالقذافى، لولا أنه هو الذى لا يعطينا هذه الفرصة0

ونصحت عبد السلام جلود بأن يقنع القذافى بالكف عن هذا التهريج0

ولكن لم يكن القذافى يعتقد بأنه مهرج وإنما كان مقتنعا بأن الذى يفعله هو الطريق الذى رسموه له إلى قلب الشعب المصرى00 مهما أهان المصريين وجرح كرامتهم

وعيرهم بأنهم فقراء وعيرهم بأنهم أنهزموا فى سنة 1967، وهددهم بأنهم سوف ينهزمون فى أية حرب أخرى يدخلونها00

وحتى بعد أن انتصرنا فى حرب أكتوبر هاجم القذافى القوات المسلحة المصرية واتهمها بالهزيمة والخيانة، وأتهم الشعب المصرى بأنه مخدوع لأنه صدق أن قواته الباسلة قد انتصرت!

ونزل القذافى فى قصر القبة0 وأخبرت الوزير المرافق له بضرورة أن يحضر القذافى قبل موعد إلقاء كلمتى لندخل قاعة اللجنة المركزية معا0

وذهبت قبل القاء كلمتى ببضع دقائق0 وانتظرت القذافى0 وكعادته لم يأت0 فقلت إنه يريدنى أن أنتظره كما هى عادته التى لا أحبها0

وجاء عبد السلام جلود يتعذر قائلاً: يا سيادة الرئيس إن الأخ معمر القذافى مريض0 لقد أصابه مغص مفاجىء0 ولن يتمكن من الحضور00

قلت: كنت أحب أن يحضر معمر00 ولكن سوف أزوره بعد إلقاء كلمتى0 هنا بنا0

ودخلنا القاعة0 أنا ذهبت إلى المنصة0 وعبد السلام جلود جلس بين الوزراء0 ومن هذه المنصة يوم 28 سبتمبر سنة 1973 أصدرت عفوا عن الطلبة وأعدت الصحفيين الذين نقلتهم إلى هيئة الإستعلامات، إلى أماكنهم من الصحف التى كانوا يعملون فيها00

وسجلت موقفى للتاريخ بوضوح فقلت: سوف أتخذ قرارين0 أفتح بهما الباب لكل فرد فى هذا الوطن لكى يدرك أننا أمام مرحلة جديدة يجب أن نعالج فيها كل أمورنا0 وأن نفكر فيها فى كل مشاكلنا0 سوف أطلب إلى وزارة العدل أن تسحب كل قضايا الشباب من أمام المحاكم00 لقد اتاحت لى فرصة خلال الايام الأخيرة أن أرى أعدادا كبيرة من قيادات الشباب فى جامعة الإسكندرية فى يوليو الماضى، فأنا أعرف ثورة الشباب وأعرف أنها حكم الطبيعة فيه، لأنه أداة التجديد المستمر0 ولكن كان شاغلى دائماً ألا تستغل ثورة الشباب، وألا تتعزل عن المجرى الثورى العام

لجماهير الشعب، أنا لم أكن أريد العقوبة، وإنما كنت ولا أزال أريد التنبيه إن حملات التشكيك سوف تخرج لتفسر هذا القرار على غير هدفه، وإذا تصور أحد أن في هذا القرار تراجعاً فهو مخطيء أيضاً00 إن القرار قد صدر عن اقتناع بمعرفتي بالشباب، واتصالي بهم00 وما قلته لهم وما سمعته منهم أخيراً، ولا أزال مصراً على التنبيه باتخاذ هذا القرار وفي نفس الوقت أنبه وأحذر0

ثم قلت أيضاً في هذه الخطبة أمام اللجنة المركزية وأمام أعضاء مجلس الشعب وأمام جماهير أمتنا العربية وسوف أصدر قراراً بعودة الصحفيين الذين أبعدهم بقرارات لجنة النظام، وأنتم أعضاء اللجنة المركزية تمثلون السلطة في تنظيمها السياسي، أرجو أن توافقوني عليه، وهنا أيضاً لم أكن أقصد العقوبة0 ولكن هنا أيضاً كنت ولا أزال أقصد التنبيه والتحذير00 ولم يكن من هدفى ولا هو فى طبعى أن أمس إنسانا فى عمله أو مهنته أو رزقه، أنتم تعلمون هذا تماماً0 ولكنى أحسن أن هناك لبساً فى فهم الحرية وممارسة الديمقراطية وضوابطها وقد تخيل البعض أنه يمكن استغلال هذا اللبس0 وأنا أريد- قولاً وفعلاً- حرية الصحافة0 وأريدها فى نفس الوقت صحافة ملتزمة، أريد حرية القلم0 وفى نفس الوقت أريد عفة القلم0 إننى أريد للفكر أن يعطى ما لديه من غنى وثرء للوطن وللأجيال القادمة، ولكن لا أريد للفكر أن ينفصل عن قضايا الشعب، تحت ستار الديمقراطية0

وقلت أيضاً: سوف تخرج حملات التشكيك فى تفسير هذه القرارات0 أعلم ذلك مقدماً وسوف يقال إنها نتيجة ضغوط أو بسبب الهجمات التى علينا فى الخارج00 وأنتم تعلمون أننى لا أخضع لضغوط أيا كانت أما بالنسبة للحملات التى علينا فى الخارج فنحن قادرون على مواجهتها00 ولا يهمنى ما يقال فى الخارج، ومن جانب أعداء شعبنا، ولكن أرجو مخلصاً، ألا يخطيء أحد منا فى معنى ومدلول هذين القرارين0

وأنا سعيد ، ولا أزال، لأننى لم أجدنى مضطراً لفتح المعتقلات التى أفلقتها إلى

الأبد0

وقد رددت بهذين القرارين على حملات التشهير والتشويه الأجنبية، التي تلقى معونة وصدى من بعض الشراذم فى مصر، فقد أحسوا فى ذلك الوقت إصرارا منى على القتال فأرادوا التشكيك فى ذلك، وتشويه كل ما أردت أن أعمله من أجل مصر معتمداً على الله وعلى قواتنا المسلحة، وعلى التضامن العربى الذى وفقنى الله إلى تحقيقه وهذا التشويه هو الذى تكرر معناه وصورته ومستشاريه مرة أخرى فى يناير سنة 1977 أيضاً ونحن نستعد لأعظم تحدياتنا: وهو تصحيح المسار الاقتصادى لمصر00

وقد لاحظت فى ذلك الوقت أن أكثر الصحفيين الذين يبشرون بالتشكيك والهزيمة يعملون فى جريدة الأهرام، فقد كانت جريدة الأهرام برئيس تحريرها مسخرة للتشكيك فى كل إنجازاتنا وكانت محطة لإذاعة الهزيمة والإنهزامية بين الناس00 ورئيس تحرير الأهرام هو الذى خيرته بين الصحافة والسياسة00 وقلت له إما أن تعمل صحفياً وتلتزم فتعرض مقالك على الرقيب وإما أن تنفرغ للسياسة وسوف أجد لك مكاناً فى رئاسة الجمهورية أو تجلس فى بيتك00

وكانت حجتة أن جمال عبد الناصر لم يكن يعامله كذلك00 وكان من نتيجة أن عبد الناصر كان يعامله معاملة خاصة ويشركه فى معلوماته وقراراته، أنه أصبح مركزاً للقوة00 ولكننى غير جمال عبد الناصر00

وفى نفس الوقت لن أسمح بالتشكيك والتشويه والإنهزامية والعمالة ضد مصر00 وقبل ذلك شكك فى قرار طرد الخبراء السوفيت00 وبعد ذلك أعلن عن المسيرة الليبية أنه كان من الواجب أن يأخذها المصريون بالأحضان00 ثم أنكر أنه قال ذلك!؟

ويبدو أنه كان قد نسى لماذا استدعيته بعد وفاة جمال عبد الناصر بأربعين يوماً أمام اللجنة العليا00 فقد أعتقد أننى استدعيته ليدافع عن نفسه ضد مراكز القوى الأخرى00 ولكن الحقيقة أننى استدعيتهم واستدعيته أيضاً لأقول للجميع شيئاً واحداً: لن أسمح لأحد أن يتخذ لى قرارى00 لن أسمح بولاية أحد على 00 لا هم ولا هو!

وكان ما توقعته 00 فقد قال العملاء إننى أصدرت هذين القرارين كنوع من "المصالحة" الوطنية- وهو شعار جديد أجوف اخترعه 0 فلم أكن فى حاجة إلى مصالحة

مع أحد0 لأنتى لم أختلف مع أحد0 وإنما أسفت فقط لما أحدثته هذه الشرازم المخدوعة00 والذين لا يزيد عددهم فى ذلك الوقت - أو فى "انتفاضة" 18 و19 يناير 1977 - على ألف شخص00 وليس هذا بالعدد الكبير بين 38 مليوناً من المصريين 00 وعندما أطلقت عليها "انتفاضة الحرامية" فقد كنت أعنى ما أقول00 وقد نشرت مجلة "أكتوبر" سورتين لاثنتين من الذين اشتركوا فى هذه الإنتفاضة مهتمين بالنشل00 فهما فعلا من "الحرامية"!

وهى أقلية ضئيلة محتقرة من الأغلبية الشريفة00 وأذكر أن د0 عبد المنعم المفتى طبيب الأمراض الجلدية، والذى أكتشف دواء لمرض الصدفية، قد روى أنه فى هذا اليوم اعترض بعض المواطنين سيارته قائلين له: إن أولاد الـ "0000" يكسرون السيارات00 فارجع بسيارتك! ومعنى ذلك أن الناس يستنكرون هذا العمل ويشتمون فاعليه00 فلا يبق إلا أن يقوم الشعب نفسه00 بالقضاء على ذلك0

ولذلك قال لى د0 عبد المنعم المفتى: إنه لا ينبغى أن نغضب من هذه الشرازم لأن الشعب بخير00 وأن الأغلبية الساحقة تستنكر ذلك تماماً!

وقبل المعركة بأيام، وعلى التحديد يوم الأربعاء 3 أكتوبر كان عبد السلام جلود فى مصر0 واستدعيته إلى بيتى0

• وقلت له : يا عبد السلام0

• قال : نعم

• قلت: سوف ندخل المعركة0 لقد تقرر ذلك وتحدد باليوم والساعة والدقيقة0

سألنى : متى؟

قلت : أقرب مما تتصور00

ولم يصدقنى لأن المعلومات التى لديه هو والقذافى غير ذلك تماماً0

ولكن حدث شىء غريب قبل ذلك يدل على معنى الرجولة والشهامة، وعلى الفرق

الهائل بين رجل من طراز الملك فيصل وواحد من نوعية معمر القذافى!

